الحـوار القـرآني في سـورة نـوح

(دراسة تحليلية)

د. عثمان سيد علي محمد علي*

المستخلص

يهدف البحث إلى إبراز عناية القرآن الكريم بالحوار وذلك من خلال سورة نوح باعتبارها نموذجاً لحوار الأنبياء مع أقوامهم ، وقد أخذ حوار الأنبياء مع أقوامهم حيزاً كبيراً من قصص القرآن، وكان لنبي الله نوح قصب السبق في كثرة حواراته لقومه، ومع أنه جاءت الإشارة إلى قصته في (٢٨) سورة من القرآن الكريم، إلا أنه خُص بسورة مستقلة تحمل اسمه وتحكي موجز قصته وحواراته، تضمنت أنواعاً من الحوار في موضوعات مختلفة، استخدمت فيها أساليب متنوعة، وروعيت فيها ضوابط وآداب، يُستخرج منها دروساً عظيمة. وقد ناقش البحث هذه القضايا مستخدماً المنهج الوصفي و التحليلي ، وتوصل البحث إلى العديد من النتائج.

* أستاذ مساعد – قسم العلوم الإسلامية – كلية التربية – جامعة كسلا .

مقدمة:

يعتبر الحوار قضية إنسانية ، إذ لا يستغني عنه أحد كائناً ما كان؛ لأنه وسيلة التعبير عن مكنونات النفس وحاجاتها، ورغباتها ومتطلباتها، فهو "الكلمة " التي تعبر عن الآلام والآمال، نطقاً أو إشارة أو همساً، و"الكلمة "رسالة وأمانة، ومن هنا علم أهمية الحوار وشدة الحاجة إليه.

ولقد عُني القرآن الكريم بالحوار، فآياته مليئة بنماذجه وصوره، رغم أنّ لفظة (حور) لم ترد في القرآن إلا في ثلاثة مواضع، لكن أصل الحوار ومضمونه لا تكاد تخلو منه سورة قرآنية، وجاء الحوار فيها متنوعاً من حيث المتحاورين: فهناك حوار بين الله عز وجل وخلقه، وحوار بين الرسل وأقوامهم، وحوار بين المؤمنين، وحوار بين الكافرين، وحوار بين الجن، وحوار بين الإنسان والحيوان، وجاء الحوار في القرآن متنوعاً من حيث الموضوعات والغايات.

ولقد أخذ حوار الأنبياء مع أقوامهم حيزاً كبيراً من قصص القرآن، وكان لنبي الله نوح - الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً- قصب السبق في كثرة حواراته لقومه، حتى قالوا له:(**يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**) [1]، ومع تعدُّد السور التي وردت فيها حوارات نوح لقومه والإشارة إلى قصته في (٢٨) سورة من القرآن الكريم، إلا أنه خُص بسورة مستقلة تحمل اسمه وتحكي موجز قصته، فسورة (نوح) التي لا تتجاوز (٢٨) آية، احتوت أنواعاً من الحوار، فتضمنت حواراً بين نوح وربه سبحانه وتعالى، وحواراً بين نوح وقومه، وحواراً بين الكفرة من قومه، كما تعدَّدت موضوعات تلك الحوارات، واستخدمت فيها أساليب مختلفة، وروعيت فيها ضوابط وآداب، وشملت دروساً ووقفات .

الحوار : مفهومه وأهميته:

أصل مادة الحوار في اللغة :(ح - و - ر) وهي بفتح الحاء وسكون الواو تدل على عدَّة معان منها:

1- **الرجوع عن الشيء وإلى الشيء**[2]، ومنه قوله تعالى:(**إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**) [3] أي: ظن في الدنيا أن لن يرجع إلينا ولن يبعث بعد مماته.[4]

ومنه حديث :ً " مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أو قال عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حَارَ عليه".[5]

2- **التردد إما بالذات وإما بالفكر**[6] وهو بمعنى الرجوع المتقدم، وبهذا فسر قوله تعالى: (**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**) [7] ومنه قولهم: حار الماء في الغدير إذا تردد فيه، وحار في أمره : أي تحير وتردد.

---

1 سورة هود، الآية: 32 .

2 لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، المتوفي سنة 711هـ، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولي 2000م ، (4/ 217) .

3 سورة الانشقاق، الآية: 14 .

4 انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، دار الفكر ، بيروت 1405هـ ، (24/ 316)

5 صحيح مسلم، الإمام محي الدين، أبي بكر يحيي بن شرف الشافعي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان ، (79/1) ، رقم الحديث (61) ، كِتَاب: الْإِيمَان ، بَاب: بَيَان حَال إِيمَان من رَغِبَ عن أبيه وهو يَعْلَمُ .

6 انظر: المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان، ص: 134.

7 سورة المجادلة، الآية: 1 .

3- **النقصان بعد الزيادة**[8] ، وهو رجوع من حال إلى حال، ومنه حديث النبي ρ : (وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ)[9]، أي: من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها .[10]

4- **الجواب والتجاوب**[11] ، يقال: كلمتهُ فما أحار َإليّ جواباً، والتحاور: التجاوب.

ويظهر جلياً العلاقة بين هذه المعاني اللغوية، فالحوار: تردد الكلام والتراجع والتجاوب فيه بين الطرفين المتحاورين .

ومن هذه المعاني اللغوية يمكن تعريف الحوار بأنه: مراجعة الكلام وتردده بين طرفين والتجاوب فيه بالرد والمخاطبة.[12]

وقد عرّفه عدد من المعاصرين، وكلٌ نظر إليه من جهة واعتبرها، ولكن كلها لا تخرج عن المعاني اللغوية المذكورة آنفاً .[13]

ومن خلال النظر إلى المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية للحوار تبين أن الحوار يقوم على أسس وأركان وشروط لابد من توافرها حتى يسمى حواراً، وليحقق ثمراته وغاياته، من أهمها:

أ- المتحاورون: فلابد أن يكون النقاش بين طرفين فأكثر .

ب- الموضوع: وهو القضية أو المسألة التي يدور الحديث عنها .

ج- الهدف: والمقصود به تحديد الغاية التي من أجلها يتم النقاش بين الطرفين في القضية، والأصل أن تكون هذه الغاية هي الوصول للحق وإيجاد قناعة مشتركة بين الطرفين .

ولعل مما تقدم بيانه تظهر الحوجه إلى الحوار وأهميته وضرورة استخدامه، ويمكن تلخيص أهميته فيما يلي:

1- كثرة وقوع الخلاف سواء فيما بين المسلمين، أو فيما بينهم وبين غيرهم من أهل الديانات والملل والمذاهب، وسواء كان الخلاف حقيقياً أو صورياً، وقد أنبأنا النبي ρ عن ذلك فقال:(فإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا).[14]

2- انتشار بعض الشبهات والأباطيل التي تشوّه الحقائق وتلبسها بالزيف والضلال، وأسهم في ذلك التقدم التقني ووسائل الإعلام المتطورة.

---

8 لسان العرب (4/ 217) ، وتهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة : الأولى 2001م ، (2/ 183) .

9 سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت- لبنان ، (1249/2)، رقم الحديث (3888) ، كِتَاب: الدُّعَاءِ ، بَاب: ما يَدْعُو بِهِ إذا دخل بَيْتَهُ. ومسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م ، (82/5)، رقم الحديث (20790)، حديث عبد اللَّهِ بن سَرْجِسَ ح .

10 المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان ، ص: 135.

11 مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة جديدة ، 1415هـ - 1995م ، ص: 118.

12 الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث - رمادي للنشر ، الطبعة: الأولى 1414هـ - 1994م، ص: (20- 22 ، وكيف نحاور الآخرين، د/ تيسير محجوب الفتياني، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى 2005م ، ص: 38.

13 أصول التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى1420 هـ - 2000 م، ص: 185. وضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن حنبكة ، دمشق - دار القلم ، الطبعة: الأولى ١٣٩٥ هـ ، ص: 371. والحوار آدابه وضوابطه ، ص: 6.

14 أخرجه ابن ماجة (16/1)، رقم الحديث (43) ، بَاب: اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م ، (126/4)، رقم (17182) ، حديث الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ عَنِ النبي ρ .

3- الأثر الإيجابي للحوار: فمن يتأمل تاريخ الحوار الإسلامي قديماً وحديثاً يدرك الأثر الواقعي له في الدعوة إلى الإسلام وإقناع المخالفين ورد شبهات المعاندين ونحو ذلك .

4- انتشار ظاهرة العنف في كثير من المجتمعات، وهي غالباً ما تكون ردة فعل لكبت حرية التعبير، وقفل باب الحوار الهادئ والنقاش المقنع الذي يقرب وجهات النظر ويضيق الهوّة بين المختلفين.

أنواع الحوار في سورة نوح:

حوى القرآن الكريم جملة كبيرة من الحوارات، وبالنظر إلى جانب المتحاورين يمكن تقسيم الحوار في القرآن إلى ستة أنواع وهي:[15]

1 - حوار بين الله تعالى وأحد من خلقه كالملائكة والرسل وإبليس وغيرهم .

2 - حوار بين المؤمنين من الإنس .

3 - حوار بين مؤمن وكافر .

4 - حوار بين إنسان وحيوان .

5 - حوار بين الكافرين .

6 - حوار بين الجن .

وبالنظر إلى آيات سورة نوح نجد أنها حوت ثلاثة أنواع من الحوارات، وهي :

1- حوار بين الله عز وجل ونبيه الكريم نوح □، وقد أخذ هذا النوع أكثر آيات السورة ، ذلك أن هذه السورة خُصِصَتْ لقصة نوح □ وقومه والتي حكاها الله تعالى عنه واختصر فيها جهد وعناء ألف سنة إلا خمسين عاماً، وكأنه يعرض على ربه سبحانه وتعالى خلاصة دعوته وحصيلة عمله طوال تلك السنين.[16]

وقد بدأ هذا النوع من الحوار بتكليف الله عز وجل لنبيه نوح □ بالرسالة ومن ثم بيان مضمونها : (**أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ**)[17] أي فقلنا له: أنذر قومك[18] ، ومن هنا ينشأ الحوار، فبعد هذا التكليف الرباني والأمر الإلهي الذي لا يسعه إلاّ الانقياد له، انطلق نوح □ ينذر ويحذر، ويعظ ويدعو، ولما كان المقام هنا العرض المختصر فقد طويت سنين العمل الدؤوب والجهد المضني ، ليعرض خلاصة ما قام به، وما قاله لهم ، وما ردوا به عليه : (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً ....**) الآيات[19]، ثم يجدد الخطاب لربه مؤكداً عصيانهم وعنادهم ومكرهم واستكبارهم (**قَالَ نُوحٌ**

15 انظر: الحوار آدابه وضوابطه، ص: (74- 75) .

16 في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة 1391هـ - 1971م ، (7/ 343) .

17 سورة نوح ، الآية: 1 .

18 الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ - 2003 م ، (18/ 193) .

19 سورة نوح ، الآية: (5- 6) .

رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً).[20] ليصل إلى نهاية المطاف حيث تعرض الآيات المشهد الأخير من قصة نوح وحواره مع الله عز وجل، إذ دعا ربه طالباً منه استئصال الكافرين من الأرض، وهلاك الظالمين ، والمغفرة للمؤمنين والمؤمنات، واشتمل دعاؤه كذلك هلاك كل ظالم إلى يوم القيامة، والمغفرة لكل مؤمنٍ ومؤمنة إلى يوم القيامة .[21] **(وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً . إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً . رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً)**.[22]

2- حوار بين نوح وقومه: وقد بدأه نوح استجابة لأمر الله تعالى الذي أرسله نذيراً لقومه، وهو يتضمن تبليغ الرسالة والحث على توحيد الله وعبادته وتقواه وطاعته، طمعاً في رضاه ومغفرته، والتحذير من عذابه ونقمته، مع توضيح دوره ومهمته :(**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ. يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**)[23] مع التلطف في العبارة وحسن القول والبعد عن التجريح والفحش والسخرية والاستهزاء والاحتقار ، وإظهار الشفقة عليهم والحرص على إيصال الرسالة عليهم وإقنائهم بالحق لا إفحامهم وفضحهم والتشهير بهم (**إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**)[24] مع التودد إليهم وتذكيرهم بالأواصر التي تجمعهم فهو يناديهم وينسب إليهم نفسه بقوله: (**يَا قَوْمِ**) .

ولما واجهه قومه بالكفر والعناد، والإصرار والاستكبار، نوّع لهم الأساليب وغيّر لهم الوسائل لعلهم يستجيبون، وكان من ذلك أن أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم، وأخبرهم بثمرة الاستغفار وأنه سبب في سعة الرزق ونزول الغيث وكثرة الأموال والأولاد[25] (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً** ً).[26]

لقد تعددت مواقف الحوار بين نوح وقومه نظراً لطول فترة دعوته لهم، ولشدة عنادهم وإصرارهم، ففي موقف آخر يأخذ بهم إلى آيات الله في أنفسهم وفي الكون من حولهم (**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً. وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجا**ً).[27]

---

20 سورة نوح ، الآية: (21- 22) .

21 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت، (5/ 302)، وفي ظلال القرآن: (7/ 351).

22 سورة نوح ، الآية: (26- 28) .

23 سورة نوح ، الآية: (2- 4) .

24 سورة الأعراف ، الآية: 39 .

25 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 346).

26 سورة نوح ، الآية: (10- 12) .

27 سورة نوح ، الآية: (15- 20) .

3) حوار بين الكافرين من قومه : وهذا النوع من الحوار نشأ بعد العصيان والإعراض، والاستكبار والعناد، الذي واجه به قوم نوح رسالته، فلم ينفعهم التذكير والتحذير، ولا الإطماع بالمال والبنين، فأبوا إلّا الكفر والتكذيب، ولم يكتفوا بهذا الضلال بل زادوا عليه بالمكر والكيد: **(وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً)** [28] ، أي مكراً كبيراً وكثيراً [29] وكان من مكرهم تحريض الرؤساء للأتباع والعامة على الكفر والعصيان وعدم الاستجابة لدعوة نوح عليه السلام ، وحثهم على الاستمساك بالأصنام التي كانوا يتخذونها آلهة من دون الله، وخصوا بالذكر أكبر الأصنام ليثيروا الحمية في قلوب الدهماء[30] بألا يدعوا ما كان عليه آباؤهم الأقدمون.[31] **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً)** .[32]

موضوعات الحوار في سورة نوح:

ظهر مما تقدم تنوع الحوارات في هذه السورة التي اختصرت تلك المسيرة الدعوية الطويلة في مدتها وأحداثها ومراحلها، ولقد تضمنت الحوارات المذكورة في هذه السورة عدداً من الموضوعات والمسائل من أهمها :

1- تكليف المولى جل جلاله نوحاً بالرسالة التي بعثه الله تعالى من أجلها كغيره من الأنبياء ، وأنها رحمة الله تعالى ببني الإنسان، وإنذار البشرية من عذابه الأليم ، إن هم كفروا وأعرضوا، ولم يعبدوا ربهم ويوحدوا خالقهم [33] **(مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** .[34]

2- الدعوة إلى تصديق الرسول الذي اختاره الله واصطفاه ليبلغ دينه وينذر قومه [35]وهذا ما بدأ به نوح حواره مع قومه: **(قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)**.[36] وهو ما فصلته آيات الأعراف حيث قال تعالى: **(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** .[37]

---

28 سورة نوح ، الآية: 22.

29جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، دار الفكر - بيروت – 1405هـ ، (12/ 253) .

30 من دهم والدُّهْمةُ السواد يقال: فرس أدْهَمُ ، وبعير أدهم، وناقة دَهْماء، أي اسود، وقال الله تعالى: { مدهامتان } أي سوداوان من شدة الخضرة . مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة جديدة ، 1415هـ - 1995م ، ص: 745.

31 انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1421هـ - 2000م ، (5/ 314) . وزبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة، محمد سليمان عبد الله الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر 1428هـ - 2007م ، ص: 769.

32 سورة نوح، الآية: 27.

33 انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (5/ 311).

34 سورة نوح ، الآية: 1.

35 انظر: في ظلال القرآن: (6/ 3710) .

36 سورة نوح، الآية 2.

37 سورة الأعراف ،الآية: (61- 62) .

3- الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والحث على إتقاء محارمه وطاعة **أمره**، وهذا ما ظهر في أول حوار لنوح مع قومه بعد أن أخبرهم بأن الله أرسله إليهم (**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**).[38]

وما جاء في هذه السورة عن نوح أوْضَحَتْهُ الآيات المشابهة في السور الأخرى كقوله تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**)[39]، وقوله تعالى:(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**).[40]

4- شكوى القوم المعاندين إلى ربهم وخالقهم، فقد دعاهم نبيهم المختار ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما آمن معه إلا قليل ، مع أنه لم يأل جهداً ، ولم يمل أو يفتر ، ليلاً ونهاراً، ولم يترك وسيلة إلا سلكها، سراً وجهاراً، ولكن أبوا إلا تمادياً على الباطل ونفوراً عن الحق وإصراراً على الكفر[41] ، إنها صورة من صور البشرية العنيدة الضالة المستكبرة عن الحق، المعرضة عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان [42] ، وهنا كانت الشكوى منهم إلى الله موضوعاً لحوار آخر بين نوح وربه سبحانه وتعالى:(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً. فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً**) . ثم قوله مرة أخرى :(**قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً. وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً**) .[43]

5- التذكير بعظمة الله وقَدرِه والترغيب في ثوابه الآجل بمغفرة الذنوب والمعاصي والوقاية من عذابه وحسابه، والثواب الدنيوي العاجل بإنزال المطر وإحياء البلاد والعباد، وبسط الرزق بتكثير المال والبنين وإنبات الزروع وجَرْي الأنهار[44]: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً. يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً. مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً**) [45] قال سعيد بن جبير في قوله تعالى:(**مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً**) (ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته).[46]

6- إثبات البعث والنشور والاستدلال عليه بأدلة يتكرر إيرادها في القرآن الكريم [47] وهي:

---

38 سورة نوح ، الآية: (2- 3) .

39 سورة هود ، الآية: (25- 26) .

40 سورة المؤمنون ، الآية : 23 .

41 تفسير القرآن العظيم، تأليف:أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م ، (4/ 424)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (5/ 312).

42 في ظلال القرآن: (2/ 289) .

43 سورة نوح ، الآية: (5- 6 ، 21- 22) .

44 معالم التنزيل، محيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م ، (5/ 312) ، وزبدة التفسير ، ص: 768.

45 سورة نوح ، الآية: (10- 13) .

46 معالم التنزيل: (5/ 312) .

47أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت 1415هـ - 1995م ، (9/ 6) .

أ- الاستدلال بالخلق الأول، وهنا قال نوح لقومه: (**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**)[48] فذكرهم بابتداء خلقهم تنبيهاً لهم على المعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم وقد كرر نوح عليهم هذا الدليل وأكّده بقوله: (**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً**)[49] وهذا كما جاء صريحاً في قول الله عز وجل **:(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**)[50] وقوله تعالى: (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)[51].

ب- الاستدلال بخلق السموات والأرض التي هي أعظم وأكبر من خلق الناس، فقد قال نوح لهم: (**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً**) ثم قال أيضاً: (**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً**) [52] ، وهذا كما قال تعالى في آية أخرى: (**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**).[53]

7- التحريض على التمسك بالباطل والثبات عليه، وعدم الاستجابة للحق والانقياد **إليه**، وهذا ما زينه الرؤساء والملأ من قوم نوح للعامة والسفهاء **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً)**[54]، وهو وإن جاء هنا مختصراً فقد جاء تفصيل كلامهم في آيات أخر فمرة يتهمون رسولهم بالجنون (**وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ**)[55]، ومرة يهددونه بالرجم(**قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ**)[56]، وثالثة يتحدونه ويستعجلونه بالعذاب (**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**).[57]

لقد ظهر مما تقدم تنوع موضوعات الحوار في سورة نوح بحسب المتحاورين من جهة، وبحسب المواقف والأحداث من جهة أخرى.

أساليب الحوار في سورة نوح:

من المعلوم أن للحوار أساليب عديدة، استخدم القرآن الكريم الكثير منها، ومن ذلك: ضرب الأمثلة والوعظ والتذكير والتحدي والإفحام والتدرج واستخدام السبر والتقسيم والتعريض بالخصم وطلب الدليل واستخدامه وإيراد القصص والقول بالموجب والمناقضة [58] ونحوها .

---

48 سورة نوح ، الآية: 14 .

49 سورة نوح ، الآية: (17- 18) .

50 سورة الروم ، الآية: 27 .

51 سورة ق، الآية: 15 .

52 سورة نوح ، الآية: (15- 16، 19- 20) .

53 سورة غافر ، الآية: 57 .

54 سورة نوح ، الآية: 23 .

55 سورة القمر ، الآية: 9 .

56 سورة الشعراء ، الآية: 116 .

57 سورة هود ، الآية: 32 .

58 القول بالموجب: هو رد دعوى الخصم من فحوى كلامه، والمناقضة: هي تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحالة وقوعه أبداً. انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق: سعيد المندوب ، دار الفكر - لبنان ، الطبعة: الأولى 1416هـ 1996م ، (65- 66) ، ومناهج الجدل، زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق - الرياض ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٤ هـ ، ص: 81 .

والحوار القرآني في سورة نوح تضمن بعضاً من تلك الأساليب، وبيانها على النحو الآتي :

1- الاستدلال: والمقصود به إيراد الأدلة الصحيحة والواضحة والحجج الدامغة لبيان الحق وتفنيد شبهات الباطل، وكذا المطالبة بإثبات الدعوى بالدليل والبرهان، وهو أصل مهم في كل حوار وهو معتمد على شرط العلم الذي لابد من توفره في كل من يتصدى للحوار والإقناع حتى لا يتحول الحوار إلى جدل عقيم لا فائدة منه ولا ثمرة.[59]

ولا شك أنّ مَنْ يحمل الحق المؤيد بوحي الله عز وجل، هو الذي يملك الدليل والبرهان القاطع، الذي لا تقوم أمامه الشبهات، ولا تثبت بين يديه الحجج الواهية، ونبي الله نوح انتقل فيها من برهان إلى برهان، خاصة فيما يتعلق بإثبات البعث والنشور، حيث أقام عليه دليلين -كما تقدم- هما الاستدلال بالخلق الأول، والاستدلال بخلق السموات والأرض (**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً . أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً . وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً . وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً . لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً**) .[60]

2- الوعظ والتذكير والترغيب في فضل الله ونعمه الدنيوية، المرتبطة بتقواه واستغفاره، كنزول المطر، وحصول أنواع الأرزاق، وأصناف المتاع، ودفع الهلاك إلى أجل مسمى[61] وأعظم من ذلك مغفرة الذنوب في الآخرة، والنجاة من عذاب الله تعالى، وهذا ظاهر في قوله :(**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**)[62] وقوله: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**ً)[63]، ومن ثم الترهيب والتحذير والتخويف من الاستهانة بأمر الله وترك تعظيمه وإجلاله :(**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً**)[64] قال ابن كثير رحمه الله: (هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب).[65]

3- التدرج والبدء بالأهم، بعد ذكر المقدمات، وتهيئة الجو المناسب، وتحديد نقاط الاتفاق، إذ إن الحوار مجال واسع ،وقد يتشعب الحديث، ويستهلك الوقت فيما لا نفع فيه، ومن ثم ينبغي أن يبدأ بأصل القضيه - بعد ذكر مقدماتها- وهذا ما فعله نوح في أول حواره مع قومه فـ (**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ .أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**)[66] لقد دعاهم منذ البداية إلى أصول مهمة هي خلاصة دعوته : عبادة الله وحده، وتقواه، وطاعة رسوله، ثم أعقب ذلك ببيان ما يترتب على الاستجابة لأمر الله - مما تقدم ذكره- من المغفرة وسعة الرزق ودفع الهلاك ... الخ .

---

59 انظر: الحوار آدابه وضوابطه، ص: 309.

60 سورة نوح ، الآية: (13- 20) .

61 انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (5/ 311).

62 سورة نوح ، الآية: 4.

63 سورة نوح ، الآية: (10- 12) .

64 سورة نوح ، الآية: 13.

65 تفسير القرآن العظيم : (4/ 425).

66 سورة نوح ، الآية: (2- 3) .

4- الإسرار والإعلان : إن طول الفترة التي قضاها نوح في قومه،وشدة عنادهم وإصرارهم على ضلالهم، استدعت تنويع الأساليب وتعدد الطرق، وتغيير الوسائل، لعل طريقةً تنفع، أو أسلوباً يؤثر أكثر من غيره مبيناً أنه قد استنفد كل الوسائل في غيره، وهذا ما وضحه نوح حواره مع قومه لدعوتهم إلى الحق(**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**). [67]

لقد دعاهم جهاراً بمسمع منهم كلهم، وحاورهم جهرة بين الناس، كما أنه أعلن كلامه ظاهراً بصوت عال، إضافة إلى أنه أسر لهم فيما بينه وبينهم[68] ، قال ابن عباس :(يريد أكّلم الرجل بعد الرجل في السر) [69].

5- السؤال والاستفهام : من الأساليب المتبعة في الحوار طريقة السؤال والاستفسار، وله عدة أغراض، فقد يكون السؤال للاستيضاح وطلب التفصيل والبيان ولمعرفة المزيد من المعلومات، وقد يكون للتقرير عند ذكر حقائق مسلمة لا مجال للاعتراض عليها كما فعل نوح حين قررهم بقوله: (**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً**)[70].

وقد يستخدم الاستفهام للإنكار على المخالف قولاً أو فعلاً يعرف فساده أو تناقضه وضعفه[71] ، كما في قول نوح لقومه (**مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً**)[72].

تلك هي أساليب الحوار التي استخدمت في هذه السورة – على إيجازها - وقد استخدمت أساليب أخرى في قصة نوح في غير هذه السورة، منها التحدي كما في قوله تعالى: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**)[73].

ضوابط الحوار في سورة نوح:

المقصود بالضوابط : القواعد المنهجية والسلوكية التي ينبغي أن ينضبط بها الحوار، والتي يحسن بالمحاور أن يلتزمها حتى يثمر حواره[74]، والحوار القرآني في سورة نوح، توافرت فيه جملة من هذه الضوابط منها:

1- الإخلاص والتجرد والبعد عن الهوى والتعصب، وهو أصل عظيم تحّلى به الأنبياء والمرسلون في دعواتهم ومحاوراتهم، وها هو نبي الله نوح يعلن منذ البداية حقيقة أمره، وغاية رسالته فهو ما جاء لينافس أهل الدنيا على دنياهم أو يزاحمهم في أموالهم ومعاشهم:(**إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**)[75]. ، وجاء بيان ذلك صريحاً في آية أخرى حين قال: (**وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ**

67 سورة نوح ، الآية: (8- 9) .

68 تفسير القرآن العظيم: (4/ 425).

69 زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة 1404هـ ، (8/ 370).

70 سورة نوح ، الآية: 15، وانظر: زاد المسير: (8/ 371).

71 انظر: الحوار آدابه وضوابطه ، ص: 457.

72 سورة نوح ، الآية: 13، وانظر: في ظلال القرآن: (7/ 347).

73 سورة يونس ، الآية: 71.

74 انظر: ضوابط المعرفة، ص: 373، والحوار آدابه وضوابطه ص: 7.

75 سورة نوح ، الآية: 2.

أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ ...) [76]، وقال في آية أخرى: (**وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ.أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ...**) [77] ، قال ابن كثير رحمه الله: (وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ والنصح والأمانة).[78]

2- الإستدلال بالواقع المشاهد والمحسوس لإقناع المخالفين مما لا يمكنهم إنكاره أو الإدعاء بأنهم يستطيعون القيام به أو فعله ويتفق عليه أكثر الناس، ذلك أن هذا الأسلوب يهيء الطرف الآخر لقبول الحق والتسلم به، كما أنه يقرب من الهوة التي قد تكون بين الطرفين، حين يدرك كل طرف أن بينهما نقاط التقاء يمكن أن تكون أساساً لبناء الحوار، ولعل من هذا النوع ما ذكره نبي الله نوح من التذكير بنعم الله عز وجل من إنزال المطر وسعة الرزق بكثرة الأموال والأولاد: (**يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**) [79] ، وكذا ما تقدم من تذكيره بخلق الله لهم وإيجاد السموات وما جعل فيها من الشمس والقمر وبسط الأرض وفتح الطرق فيها، مما هو مشاهد ولا مجال لإنكاره.

3- الوضوح التام وحسن البيان لموضوع الحوار وقضية النقاش، والإجابة الشافية عن التساؤلات المطروحة، وهذا ما سلكه نبي الله نوح حين أفصح عن قضيته وَبَيّنَ أصول دعوته بقوله:(**إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**)[80] ، هكذا بكل وضوح، بلا لبس أو غموض، قال ابن كثير رحمه الله: (أي بيّن النذارة، ظاهر الأمر واضحه، (**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ**) أي اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه، وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه) [81].

فمنذ اللحظة الأولى ونوح (مفصح عن نذارته، ومبين عن حجته، لا يُتَمْتِم ولا يجمجم ولا يتلعثم[82]، ولا يدع لبساً ولا غموضاً في حقيقة ما يدعو إليه ، وفي حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته)[83] .

4- الصبر والتحمل وضبط النفس عن الانفعال، مع الثبات والاستمرار وعدم اليأس، ولعل هذا ظاهراً في رحلة نوح الدعوية مع قومه التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل، فقد صبر طويلاً، واحتمل كثيراً، لقد واصل الليل بالنهار، ليبلغ رسالة ربه ويعرض ما عنده، وقومه يفرون، وإذا واجههم أو قابلهم سدوا آذانهم وغطوا رؤوسهم ووجوههم حتى لا تتسرب كلماته إلى أسماعهم، وللتعبير عن إصرارهم على الضلال [84]،(**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**)[85].

---

76 سورة هود ، الآية: 29.

77 سورة الأعراف ، الآية: (61- 62).

78 تفسير القرآن العظيم: (2/ 224).

79 سورة نوح ، الآية: (11- 12) .

80 سورة نوح ، الآية: (2- 3) .

81 تفسير القرآن العظيم: (4/ 424) .

82 من (لعثم) تَلَعْثَمَ عن الأمر نَكَل وتمكَّث، وتأنَّى وتبصَّر وقيل التَّلَعْثُم الانتظار وما تَلَعْثَم عن شيء أي ما تأخَّر ولا كذَّب. لسان العرب: (545/12).

83 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 344) بتصرف.

84 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 345) .

85 سورة نوح ، الآية: (5- 7) .

ومع ذلك فقد واصل نوح عرض قضيته منوعاً أساليب العرض وطرق الاستدلال، متحيناً كل فرصة بإصرار على تبليغ الرسالة، فتارة يجهر لهم بالقول ، ثم يراوح بين الإعلان والإسرار [86] (**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**) [87]، ورغم هذا الجهد والعناء، والبذل والعطاء، فهو يواجه لهم إصراراً بالصد والمكر، والكيد والإعراض والتواطؤ على الكفر والضلال:(**وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ...)** [88].

5- بذل الجهد وتكثير الحوار وتنويع أوقاته وعدم الملل واليأس: وهو عامل مهم لنجاح الحوار وتحقيق ثمرته، ومن المهم تكثير العرض والنقاش، إذ تطرأ على الإنسان ظروف نفسية أو اجتماعية أو صحية أو نحوها تحول دون استيعابه أو تؤثر على فكره وعقله ومزاجه، وكما قيل : (لكل مقامٍ مقالاً).

فلابد من تقدير الظروف المحيطة وتكرار الحوار والنقاش ، ولعل هذا ما فعله نبي الله نوح حين نوّع أوقات عرض دعوته وبيان رسالته: (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً**)[89].

هذه بعض الضوابط التي روعيت في مواقف الحوار في هذه السورة، ولا شك أنّ هناك ضوابط أخرى ظهرت في حوار نوح المفصل في سور أخرى من القرآن الكريم .

الدروس المستفادة من الحوار في سورة نوح:

هذه السورة قصيرة في عدد آياتها، عظيمة في دروسها وعبرها، ذلك أنها تعرض خلاصة تجربة دعوية، ربما تكون الأطول عمراً في تاريخ البشرية، والفوائد من قصة نوح كثيرة جداً، ولذلك فسأقتصر على ماله علاقة بالحوار في هذه السورة الكريمة :

1- تقرير مصدر الرسالة والتكليف: ذلك أنّ الله جل جلاله الذي خلق الموجودات، وبرأ الكائنات، وذرأ المخلوقات، فكان منها الإنسان، وشاء الله سبحانه أن يكرم البشر ويخصهم بميزات، ويفضلهم على سائر المخلوقات (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**)[90] فأكرمهم بالعقل، وسخر لهم سائر الخلق، وكان أعظم إكرام لهم أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب ليعبدوه ويوحدوه: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[91]،

86 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 346) بتصرف .

87 سورة نوح ، الآية: (8- 9) .

88 سورة نوح ، الآية: (22- 23) .

89 سورة نوح ، الآية: 5 .

90 سورة الإسراء ، الآية: 70.

91 سورة الذاريات، الآية: 56.

وهذا ما وضحه أول حوار في السورة، حيث كان الإخبار من الله تعالى بإرسال نوح إلى قومه، ثم الأمر من الله الجليل لنوح وتكليفه بالنذارة:(**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[92].

2- تحديد الركائز الأساسية للدعوة إلى الله: وتلخصت في الأصول التي بدأ بها نوح دعوته قال:(**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**) [93] ، قال قتادة:(أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد الله وحده، وأن تُتَقَى محارمه، وأن يُطَاع أمره)[94]، فهذه هي مهمة الرسل الأولى، وهي الخطوط العريضة للديانة السماوية، فعبادة الله وحده منهج كامل للحياة، وتقوى الله هي الضمانة الحقيقية للاستقامة على ذلك المنهج...

(وطاعة الرسول هي الوسيلة للاستقامة على الطريق) [95].

3- رحمة الله تعالى بخلقه، ورعايته لبني الإنسان حيث أرسل إليهم الرسل تترى، رغم عناد البشر وإعراضهم، وصدهم عن الحق وضلالهم، بل وكيدهم بالمؤمنين ومكرهم، لكنها سنة الله تعالى في التدافع بين الحق والباطل، والخير والشر، فكما أن للحق دعاته وأنصاره فللباطل سدنته وأعوانه ولكن بعد ذلك كله، فإن من تمام رحمة الله بعباده أن جعل العاقبة للمتقين والنصر للمؤمنين قال تعالى:(**وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**)[96].

4- بيان آثار الطاعة والاستقامة على دين الله، وتوضيح العلاقة بين اللجوء إلى الله والاستغفار من جهة وبين سعة الرزق ورغد العيش، وهي حقيقة ثابتة أكدها نوح في حواراته (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً**) [97] ، وهذا ما قرره القرآن في مواضع عدة كما قال تعالى:(**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...**) الآية[98]، وقال هود : **(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ...)** الآية[99].

5- الابتلاء سنة جارية: لقد اقتضت حكمة الله تعالى وسنته في رسله وأتباعهم بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة [100]، فلابد أن يدرك أهل الحق أن الطريق طويل، ومحفوف بالمحن والابتلاءات، والشدائد والعقبات، وإذا كان أحد من البشر يستحق أن يُنْصَر ابتداء بأمر خارق دون عناء أو تعب، فأنبياء الله ورسله هم أولى الناس بذلك، لكنهم مع ذلك شملتهم سنة

92 سورة نوح ، الآية: 1.

93 سورة نوح ، الآية: 3.

94 انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (23/ 630).

95 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 344) . بتصرف .

96 سورة الروم ، الآية: 47.

97 سورة نوح ، الآية: (10- 12) .

98 سورة الأعراف، الآية: 96.

99 سورة هود، الآية: 52.

100 انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت، الطبعة: الرابعة عشر 1407هـ - 1986م ، (3/ 219) .

الله العامة في الابتلاء والتمحيص ونبي الله نوح ابتلي بأنواع من الابتلاءات منها ما ذكر في هذه السورة من عناد قومه وإصرارهم حتى أنهم فرّوا منه فراراً، وسدّوا آذانهم بأصابعهم حتى لا يسمعوه، وغطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروه، ومكروا به مكراً عظيماً، وهناك ابتلاءات أخرى جاءت في غير هذه السورة كاتهامه بالجنون والضلالة وتهديده بالرجم، وكفر ابنه وامرأته .

وإذا كان الأمر كذلك فلابد من الصبر والثبات، والثقة بالله وعدم القنوط أو اليأس، والمضي في الطريق مهما أظلم أو طال، والاستمرار في البذل والعطاء حتى آخر لحظة من الحياة، قال تعالى: **(فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)**[101]، وقال النبي ρ : (وَاعْلَمْ أن النَّصْرَ مع الصَّبْرِ، وأن الْفَرَجَ مع الْكَرْبِ، وأن مع الْعُسْرِ يُسْراً).[102]

6- الحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل منهج أصيل وسبيل قويم، قال تعالى: (**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...**)[103]، ومن الحكمة تنوع أساليب عرض الحق، وتحين الفرص المناسبة وتغيير الأوقات وتنوع الوسائل، فلعل الذي لم يستجب اليوم أن يستجيب غداً، ولعل من لم ينفع معه أسلوب، تؤثر فيه وسيلة أخرى، وهكذا ينبغي أن يقدّر الداعية الموقف الذي يواجهه؛ ليختار له أحسن مقال وأفضل وسيلة وأنسب وقت، إذ الغاية هي كسب القلوب لا كسب المواقف، والحرص ينبغي أن يكون على هداية الناس وليس تبكيتهم وإحراجهم والانتصار عليهم، ولنا أن نتأمل في قول نوح : (**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً**)[104] وقوله: (**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً. ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**)[105].

7- عناية الله تعالى ورعايته للمؤمنين، حيث أنعم عليهم بالهداية لدينه واتباع رسله والاستجابة لأمره، ثم أكرمهم بالثبات على ذلك رغم المحن والعقبات، ثم يظفروا بإحدى الحسنيين، ففي نهاية قصة نوح ومن معه من المؤمنين، حصل إهلاك جميع أهل الأرض الكافرين استجابة لدعاء نوح :(**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**).[106] (وإنجاء القلة المؤمنة من ذلك الهلاك الشامل في ذلك الحين).[107]

8- الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي في هذا الدين ، لأنّ مسيرة الإنسان الحقيقية تبدأ بعد موته، والحياة في هذه الدنيا معبر إلى الحياة الحقيقية (**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**)[108] ، ولقد أخذ هذا الموضوع حيزاً كبيراً من آيات القرآن

101 سورة هود ، الآية: 49.

102 أخرجه أحمد في مسنده (1/ 307) ، رقم الحديث (2804) مسند: عبد اللَّهِ بن الْعَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ عَنِ النبي ρ.

103 سورة النحل ، الآية: 125.

104 سورة نوح ، الآية: 5.

105 سورة نوح ، الآية: (8- 9) .

106 سورة نوح ، الآية: 26.

107 انظر: في ظلال القرآن: (7/ 339) بتصرف .

108 سورة العنكبوت ، الآية: 64.

الكريم ، لعلاقته بالإيمان بالله تعالى، وتصديق رسله، ولأنها قضيةٌ كانت محل إنكار واعتراض واستغراب (**وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً**).[109]

ولا شك أن منهج الإنسان في هذه الحياة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإيمانه بالبعث والحساب، والجزاء الذي ينتظره في الدار الآخرة عند الوقوف بين يدي الله، إذ لو اعتقد إنسان أن الدنيا هي نهاية المطاف، لحرص على أن يستمتع فيها بكل أنواع المتاع، دون مبالاة بحلال أو حرام، فما الذي يردعه عن الظلم والبغي والغش والكذب والفسق والفجور، وما البهيمية الأخلاقية التي تعيشها الحضارة المعاصرة اليوم إلا نتيجة ضعف أو عدم الإيمان بهذا الأصل العظيم، ومن هنا كانت هذه القصة محوراً أساساً في دعوة الأنبياء والرسل[110]، ومنهم نبي الله نوح (**وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً**).[111]

9- اللجوء إلى الله عز وجل والاستعانة به والتوكل عليه، أهم زاد ينبغي أن يحمله أهل الحق، فهو الركن الشديد، وبه المعتصم وإليه الملجأ، ومالم تتعلق القلوب بربها، وتستمد العون من خالقها، فقد تضعف وتفتر أمام ركام الجاهلية الهائل، وإغراءاتها أو تهديداتها، فأهم عوامل الثبات هي العلم بالله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته ومن ثم العمل بها، والتعامل معه سبحانه بمقتضاها، فهو سبحانه (نعم الوكيل) و(نعم النصير)، وهو العليم الحكيم واللطيف الخبير، والقوي العزيز، فمن تعرّف على هذه الصفات الجليلة هل سيلجأ إلى غيره ؟ أو سيأوي إلى سواه ؟

وهذا الأصل العظيم عمل به الأنبياء والمرسلون، فها هو نبي الله نوح يلجأ إلى ربه مرات ومرات، يناديه ويناجيه ويشكو إليه ويدعوه ويتوكل عليه (**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي ...**) (**رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ...**) (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ...**).[112]

وقال في موقف آخر: (**فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ**) [113]، وقال الله عنه في آية أخرى: (**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**).[114]

10- وحدة الدين الرباني وارتباط المؤمنين ببعضهم على مر العصور والدهور، فمصدر دينهم واحد، وعقيدتهم مشتركة، وأصولهم متفقة، وهذا سر عجيب في هذه العقيدة التي تربط بين أصحابها برباط الحب والوثيق، والشوق العميق، على تباعد الزمان والمكان [115] ، ومن هنا كان دعاء نوح لجميع المؤمنين والمؤمنات (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...**) [116] ، قال البغوي: (هذا عام في كل من آمن بالله وصدَّق الرسل)[117]. وقال ابن عطية:(وقوله: (

---

109 سورة الإسراء ، الآية: 49.

110 انظر: دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ص: 534.

111 سورة نوح ، الآية: (17- 18) .

112 سورة نوح، الآية: (5 ، 21 ، 28).

113 سورة يونس، الآية: 71.

114 سورة الصافات، الآية: 75.

115 انظر: في ظلال القرآن: (5/ 159) .

116 سورة نوح ، الآية: 28.

117 انظر: معالم التنزيل (8/ 234).

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة، وقال بعض العلماء: إن الذي استجاب لنوح فأغرق بدعوته أهل الأرض الكفار لجدير أن يستجيب له فيرحم بدعوته المؤمنين) .[118]

وقال ابن كثير:(وقوله تعالى:(**وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يَعُم الأحياءَ منهم والأموات، ولهذا يستجيب مثل هذا الدعاء، اقتداء بنوح) .[119]

أهم النتائج :

بعد التأمل في الحوار القرآني في هذه السورة الكريمة، وتحليل آياتها، ومحاولة استنباط معالم الحوار منها، واستلهام الدروس والعبر أخلصُ إلى الآتي:

أولاً : للحوار القرآني أهمية بالغة لما يحويه من الأصول والقواعد والأساليب والآداب وغيرها .

ثانياً : عدد وافر من مواقف الحوار في قصة نوح مع قومه، وكثرة مجادلته لهم حرصاً على هدايتهم، حتى أشار القرآن أو حكى قصته في (28) سورة منه.

ثالثاً : اشتملت سورة" نوح "على أنواع متعددة من الحوارات، تميز كل منها بخصائص ومسائل مختلفة عن بعضها.

رابعاً : تعددت موضوعات الحوار في سورة نوح بحسب المواقف والأحوال، وبحسب المتحاورين أيضاً.

خامساً : تنوعت أساليب الحوار في سورة نوح على الرغم من قصرها.

سادساً : الحوار القرآني في هذه السورة له ضوابطه وآدابه، وقواعده وسلوكياته، وهي ترسم منهجاً قرآنياً متكاملاً للمتحاورين .

سابعاً : تضمّن الحوار القرآني في هذه السورة دروساً عديدة، وفوائد وعبراً كثيرة، ينبغي تأملها والوقوف عندها والعمل بها .

118 انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان – الطبعة: الأولى 1413هـ - 1993م، (5/ 348) .

119 تفسير القرآن العظيم: (8/ 237) .

قائمة المراجع

1- القرآن الكريم .

2- **الإتقان في علوم القرآن،** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان ، الطبعة: الأولى 1416هـ- 1996م.

3- **أصول التربية الإسلامية،** خالد بن حامد الحازمي، دار عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م .

4- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت 1415هـ - 1995م .

5- **تفسير القرآن العظيم،** أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م .

6- **تهذيب اللغة** ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى 2001م.

7- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1421هـ - 2000م .

8- **جامع البيان في تأويل آي القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، دار الفكر - بيروت – 1405هـ .

9- **الجامع لأحكام القرآن،** أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ - 2003م .

10- **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة** ، المؤلف: يحي بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث - رمادي للنشر ، الطبعة: الأولى 1414هـ - 1994م .

11- **دعوة الرسل عليهم السلام،** أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى 1423 هـ .

12- **زاد المسير في علم التفسير،** عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة 1404هـ .

13- **زاد المعاد في هدي خير العباد،** محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية- بيروت- الكويت، الطبعة: الرابعة عشر 1407هـ- 1986م.

14- **زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة،** محمد سليمان عبد الله الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر 1428هـ - 2007م .

15- **سنن ابن ماجة،** محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت- لبنان .

16- **صحيح مسلم**، الإمام محي الدين، أبي بكر يحيي بن شرف الشافعي، المتوفي سنة 676هـ، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان.

17- **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، عبد الرحمن حسن حنبكة ، دمشق - دار القلم ، الطبعة: الأولى 1395 هـ .

18- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.

19- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة 1391هـ - 1971م .

20-**كيف نحاور الآخرين**، تيسير محجوب الفتياني، عمان، الأردن، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى 2005م .

21- **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن منطور الأفريقي المصري، المتوفي سنة 711هـ، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولي 2000م

22- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان– الطبعة: الأولى 1413هـ - 1993م.

23- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة جديدة ، 1415هـ - 1995م .

24- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.

25- **معالم التنزيل**، محيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م .

26- **مناهج الجدل**، زاهر بن عواض الألمعي، مطابع الفرزدق - الرياض ، الطبعة: الثالثة 1404 هـ .

27- **المفردات في غريب القرآن**، أبي القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان .